

بسم الله الرحمن الرحيم

برنامج حياة الشباب في صدر الإسلام

الحلقة الأربعون

جعفر بن أبي طالب (رضي الله عنه)

الحمد لله رب العالمين ، والصلاة والسلام على المبعوث رحمة للعالمين ، نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين ، أما بعد :-

أيها المستمعون الكرام، معشر الشباب ، السلام عليكم ورحمة الله وبركاته ، وأهلاً بكم مع حلقة جديدة من برنامجكم (حياة الشباب في صدر الإسلام) ، نستلهم فيها الدروس والعبر من تلك المواقف الإيمانية ، والصفات الحميدة لسلفنا من الشباب، ومع طرف من حياة فتي من فتيان الإسلام ، إنه ذو الجناحين ، كما وصفه بذلك رسول الله (صلى الله عليه وسلم) .

هو جعفر بن أبي طالب بن عبد المطلب بن هاشم بن عبد مناف بن قصي، أبو عبد الله ، ابن عم النبي (صلى الله عليه وسلم) وأحد السابقين إلى الإسلام.

لما أشرق نور الإيمان بمكة المكرمة وبدأ رسول الله (صلى الله عليه وسلم) يدعو الناس إليه ، كان جعفر بن أبي طالب (رضي الله عنه) من السابقين إلى الإجابة والدخول في هذا الدين ، حتى قال عنه ابن إسحاق : أسلم بعد خمسة وعشرين رجلاً، وقيل بعد واحد وثلاثين . وكان جعفر شاباً وقت إسلامه ، واستشهد رضي الله عنه وهو شاب حوالي الأربعين من عمره . فكانت حياته في الإسلام كلها في فترة شبابه .

سطر التاريخ لهذا الشاب مواقف جلية في الإيمان والعمل الصالح والخلق الجميل ، والشجاعة والإقدام ، والتضحية في سبيل الله .

لقد ذاق جعفر بن أبي طالب (رضي الله عنه) مع أوائل المؤمنين نكد العيش في مكة في بداية الدعوة مما دعاهم إلى الهجرة إلى الحبشة فراراً بدينهم من أذى قومهم، تاركين وراءهم ذلك البلد الذي ألفوه وأحبوه ، ونشأوا فيه .

لما رأى رسول الله (صلى الله عليه وسلم) ما يصيب أصحابه من البلاء ، وأنه لا يقدر على أن يمنعهم مما هم فيه ، قال لهم : لو خرجتم إلى أرض الحبشة فإن فيها ملكاً لا يظلم عنده أحد ، وهي أرض صدق ، حتى يجعل الله لكم فرجاً مما أنتم فيه، فخرج عند ذلك المسلمون من أصحاب رسول الله (صلى الله عليه وسلم) إلى أرض الحبشة مخافة الفتنة، فكانت أول هجرة في الإسلام .

ولكن قريشاً لم تصرف النظر عن أولئك المسلمين الذين هربوا من مكة ، بل لما رأت أن أصحاب رسول الله (صلى الله عليه وسلم) قد أمنوا واطمأنوا بأرض الحبشة ، وأنهم قد أصابوا داراً وقراراً ، ائتمروا أن يبعثوا إلى النجاشي رجلين جلدتين وأن يهدوا للنجاشي هدايا مما يستطرف من متاع مكة، وكان من أعجب ما يأتيه منها إليه الأدم، فجمعوا له أدماً كثيراً، ولم يتركوا من بطريقه بطريقاً إلا أهدوا له هدية، ثم بعثوا بذلك مع عبد الله بن أبي ربيعة بن المغيرة المخزومي وعمرو بن العاص بن وائل السهمي، وأمرؤهما أمرهم، وقالوا لهما: ادعوا إلى كل بطريق هديته قبل أن تكلموا النجاشي فيهم، ثم قدموا للنجاشي هداياه، ثم سلوه أن يسلمهم إليكم قبل أن يكلمهم.

قالت أم سلمة وهي من المهاجرات : فخرجنا فقدمنا على النجاشي ونحن عنده بخير دار وعند خير جار، فلم يبق من بطريقه بطريق إلا دفعا إليه هديته قبل أن يكلمنا النجاشي، ثم قالوا لكل بطريق منهم: إنه قد صبا إلى بلد الملك منا غلمان سفهاء، فارقوا دين قومهم ولم يدخلوا في دينكم، وجاءوا بدين مبتدع لا نعرفه نحن ولا أنتم، وقد بعثنا إلى الملك فيهم أشراف قومهم ليردوهم إليهم، فإذا كلمنا الملك فيهم فتشيروا عليه بأن يسلمهم إلينا ولا يكلمهم، فإن قومهم أعلى بهم عينا، وأعلم بما عابوا عليهم.

فقالوا لهما: نعم، ثم إنهما قرّبا هداياهم إلى النجاشي فقبلها منهما، ثم كلماه فقالا

لَهُ: أَيُّهَا الْمَلِكُ، إِنَّهُ قَدْ صَبَا إِلَى بَلَدِكَ مِنَّا غِلْمَانٌ سَفَهَاءُ، فَارْقُوا دِينَ قَوْمِهِمْ، وَلَمْ يَدْخُلُوا فِي دِينِكَ وَجَاءُوا بِدِينٍ مُبْتَدَعٍ، لَا نَعْرِفُهُ نَحْنُ وَلَا أَنْتَ، وَقَدْ بَعَثْنَا إِلَيْكَ فِيهِمْ أَشْرَافَ قَوْمِهِمْ مِنْ آبَائِهِمْ وَأَعْمَامِهِمْ وَعَشَائِرِهِمْ لِيَرُدَّهُمْ إِلَيْهِمْ فَهُمْ أَعْلَى بِهِمْ عَيْنًا وَأَعْلَمُ بِمَا عَابُوا، عَلَيْهِمْ وَعَاتِبُوهُمْ فِيهِ.

قَالَتْ أُمُّ سَلَمَةَ : وَلَمْ يَكُنْ شَيْءٌ أَبْغَضَ إِلَى عَبْدِ اللَّهِ بْنِ أَبِي رَيْبَعَةَ وَعَمْرٍو بْنِ الْعَاصِ مِنْ أَنْ يَسْمَعَ النَّجَاشِيُّ كَلَامَهُمْ. فَقَالَتْ بَطَارِقَتُهُ حَوْلَهُ: صَدَقُوا أَيُّهَا الْمَلِكُ، قَوْمُهُمْ أَعْلَى بِهِمْ عَيْنًا وَأَعْلَمُ بِمَا عَابُوا عَلَيْهِمْ فَأَسْلَمَهُمْ إِلَيْهِمَا، فَلِيَرُدَّهُمْ إِلَى بِلَادِهِمْ وَقَوْمِهِمْ.

ولكن النجاشي لم ينخدع بهذه الحيلة ، ولم يسلم القوم ظلماً لأعدائهم ، فكان كما أخبر عنه رسول الله (صلى الله عليه وسلم) لا يظلم عنده أحد ، فلما سمع مقولة القرشيين غَضِبَ ، ثُمَّ قَالَ: لَا هَا لِلَّهِ، ائِمُّ اللَّهِ إِذَنْ لَا أُسْلِمُهُمْ إِلَيْهِمَا وَلَا يُكَادُ قَوْمٌ جَاوُورِي وَنَزَلُوا بِلَادِي وَاخْتَارُونِي عَلَى مَنْ سِوَايَ، حَتَّى أَدْعُوهُمْ فَأَسْأَلَهُمْ مَاذَا يَقُولُ هَذَانِ فِي أَمْرِهِمْ، فَإِنْ كَانُوا كَمَا يَقُولَانِ أُسْلِمْتُهُمْ إِلَيْهِمَا، وَرَدَدْتُهِمْ إِلَى قَوْمِهِمْ، وَإِنْ كَانُوا عَلَى غَيْرِ ذَلِكَ مَنَعْتُهِمْ مِنْهُمَا وَأَخْسَنْتُ جَوَارَهُمْ مَا جَاوُورِي.

قَالَتْ أُمُّ سَلَمَةَ : ثُمَّ أُرْسِلَ إِلَى أَصْحَابِ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فَدَعَاهُمْ فَلَمَّا جَاءَهُمْ رَسُولُهُ، اجْتَمَعُوا ثُمَّ قَالَ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ، مَا تَقُولُونَ لِلرَّجُلِ إِذَا جِئْتُمُوهُ قَالُوا نَقُولُ وَاللَّهِ مَا عَلَّمَنَا وَمَا أَمَرَنَا بِهِ نَبِينَا صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، كَائِنًا فِي ذَلِكَ مَا هُوَ كَائِنٌ.

فَلَمَّا جَاءُوهُ وَقَدْ دَعَا النَّجَاشِيُّ أَسَافِقَتَهُ، فَنَشَرُوا مَصَاحِفَهُمْ حَوْلَهُ، سَأَلَهُمْ فَقَالَ: مَا هَذَا الدِّينُ الَّذِي فَارَقْتُمْ فِيهِ قَوْمَكُمْ وَلَمْ تَدْخُلُوا فِي دِينِي وَلَا فِي دِينِ أَحَدٍ مِنْ هَذِهِ الْأُمَمِ؟

فأجابه جعفر بن أبي طالب (رضي الله عنه) بعزيمة الشاب المؤمن قائلاً: أَيُّهَا الْمَلِكُ كُنَّا قَوْمًا أَهْلَ جَاهِلِيَّةٍ، نَعْبُدُ الْأَصْنَامَ، وَنَأْكُلُ الْمَيْتَةَ، وَنَأْتِي الْفَوَاحِشَ، وَنَقْطَعُ الْأَرْحَامَ، وَنُسِيءُ الْجَوَارَ، يَأْكُلُ الْقَوِيُّ مِنَ الضَّعِيفِ. فَكُنَّا عَلَى ذَلِكَ حَتَّى بَعَثَ اللَّهُ إِلَيْنَا رَسُولًا مِنَّا، نَعْرِفُ نَسَبَهُ وَصِدْقَهُ وَأَمَانَتَهُ وَعَفَافَهُ، فَدَعَانَا إِلَى اللَّهِ لِنُوحِّدَهُ وَنَعْبُدَهُ، وَنَخْلَعَ مَا كُنَّا نَعْبُدُ نَحْنُ وَآبَاؤُنَا مِنْ دُونِهِ مِنَ الْحِجَارَةِ وَالْأَوْثَانِ، وَأَمَرَنَا بِصِدْقِ الْحَدِيثِ، وَأَدَاءِ الْأَمَانَةِ، وَصِلَةِ الرَّحِمِ،

وَحُسْنِ الْجَوَارِ، وَالْكَفِّ عَنِ الْمَحَارِمِ وَالِدِّمَاءِ، وَنَهَانَا عَنِ الْفَوَاحِشِ وَقَوْلِ الزُّورِ، وَأَكْلِ مَالِ الْيَتِيمِ، وَقَذْفِ الْمُحْصَنَةِ، وَأَمَرَنَا أَنْ نَعْبُدَ اللَّهَ وَحْدَهُ لَا نُشْرِكُ بِهِ شَيْئًا، وَأَمَرَنَا بِالصَّلَاةِ وَالزَّكَاةِ وَالصِّيَامِ، ... فَعَدَّدَ عَلَيْهِ أُمُورَ الْإِسْلَامِ فَصَدَّقْنَاهُ، وَأَمَنَّا بِهِ وَاتَّبَعْنَاهُ عَلَى مَا جَاءَ بِهِ فَعَبَدْنَا اللَّهَ وَحْدَهُ فَلَمْ نُشْرِكْ بِهِ شَيْئًا، وَحَرَّمْنَا مَا حَرَّمَ عَلَيْنَا، وَأَحَلَّلْنَا مَا أَحَلَّ لَنَا، فَعَدَا عَلَيْنَا قَوْمُنَا، فَعَدَبُونَا وَفَتَنُونَا عَنْ دِينِنَا، لِيُرْذُونَا إِلَى عِبَادَةِ الْأَوْثَانِ مِنْ عِبَادَةِ اللَّهِ، وَأَنْ نَسْتَحِلَّ مَا كُنَّا نَسْتَحِلُّ مِنَ الْحَبَائِثِ، فَلَمَّا فَهَرُونَا وَظَلَمُونَا وَشَقُّوا عَلَيْنَا وَحَالُوا بَيْنَنَا وَبَيْنَ دِينِنَا، خَرَجْنَا إِلَى بَلَدِكَ وَاخْتَرْنَاكَ عَلَى مَنْ سِوَاكَ، وَرَغِبْنَا فِي جَوَارِكَ وَرَجَوْنَا أَنْ لَا نُظْلَمَ عِنْدَكَ أَيُّهَا الْمَلِكُ.

فَقَالَ لَهُ النَّجَاشِيُّ هَلْ مَعَكَ مِمَّا جَاءَ بِهِ عَنِ اللَّهِ مِنْ شَيْءٍ ؟ فَقَالَ لَهُ جَعْفَرُ نَعَمْ. فَقَالَ لَهُ النَّجَاشِيُّ فَأَقْرَأْهُ عَلَيَّ، فَقَرَأَ عَلَيْهِ صَدْرًا مِنْ سُورَةِ مَرْيَمَ ، فَبَكَى النَّجَاشِيُّ حَتَّى أَخْضَلَ لَحْيَتَهُ، وَبَكَتْ أَسَاقِفَتُهُ حَتَّى أَخْضَلُوا مَصَاحِفَهُمْ، حِينَ سَمِعُوا مَا تَلَا عَلَيْهِمْ.

ثُمَّ قَالَ النَّجَاشِيُّ إِنَّ هَذَا وَاللَّهِ وَالَّذِي جَاءَ بِهِ عِيسَى لِيَخْرِجُ مِنْ مَشْكَاتِهِ وَاحِدَةً، ثُمَّ التَفْتُ إِلَى وَفْدِ قَرِيشٍ فَقَالَ : انْطَلِقَا فَوَاللَّهِ لَا أَسْلِمُهُمْ إِلَيْكُمْ أَبَدًا، وَلَا أُكَادُ.

ولما لم تنجح تلك الحيلة من وفد قريش، جاء عمرو بن العاص من الغد بحيلة أخرى ، فقال : أَيُّهَا الْمَلِكُ إِنَّهُمْ يَقُولُونَ فِي عِيسَى ابْنِ مَرْيَمَ قَوْلًا عَظِيمًا، فَأَرْسَلْ إِلَيْهِمْ فَاسْأَلْهُمْ عَمَّا يَقُولُونَ فِيهِ . فَأَرْسَلَ إِلَيْهِمْ يَسْأَلُهُمْ عَنْهُ، فَاجْتَمَعَ الْقَوْمُ فَقَالَ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ مَآذَا تَقُولُونَ فِي عِيسَى إِذَا سَأَلَكُمْ عَنْهُ؟ قَالُوا: نَقُولُ وَاللَّهِ فِيهِ مَا قَالَ اللَّهُ، وَمَا جَاءَ بِهِ نَبِيُّنَا كَائِنًا فِي ذَلِكَ مَا هُوَ كَائِنٌ. فَلَمَّا دَخَلُوا عَلَيْهِ، قَالَ لَهُمْ مَا تَقُولُونَ فِي عِيسَى ابْنِ مَرْيَمَ؟ فَقَالَ لَهُ جَعْفَرُ بْنُ أَبِي طَالِبٍ: نَقُولُ فِيهِ الَّذِي جَاءَ بِهِ نَبِيُّنَا هُوَ عَبْدُ اللَّهِ وَرَسُولُهُ وَرُوحُهُ وَكَلِمَتُهُ أَلْقَاهَا إِلَى مَرْيَمَ الْعَذْرَاءِ الْبُتُولِ، فَضَرَبَ النَّجَاشِيُّ يَدَهُ إِلَى الْأَرْضِ فَأَخَذَ مِنْهَا عُودًا ثُمَّ قَالَ مَا عَدَا عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ مَا قُلْتَ هَذَا الْعُودَ .

فرد القرشيين خائبين ورد عليهم هداياهم ، وبقي المسلمون في الحبشة في خير جوار إلى عادوا إلى المدينة بعد هجرة الرسول (صلى الله عليه وسلم) إليها .

أيها المستمعون الكرام ، معشر الشباب ، للحديث بقية إن شاء الله ، وفي الختام نسأل

المولى جل وعلا أن يلهمنا رشدنا ، وأن يوفقنا لصلاح ديننا ودياننا ، وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين ، والصلاة والسلام على نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين ، وإلى أن ألقاكم أستودعكم الله ، والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته.